مجلة روافد
للدراسات والأبحاث العلمية في العلوم الاجتماعية والإنسانية
المجلد 06 (عدد خاص) 2022 ص ص 163-177

الإصلاح الخلقي والتربوي عند العلامة عبد الحميد بن باديس

Moral -and -educational –reform- according- to- the scholar Abdel Hamid-- Ibn- Badis

علام محمد*
جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان (الجزائر).
البريد الالكتروني: medallam013@gmail.com

تاريخ الإيداع	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2022/01/28	2022/04/05	2022/04/16

الملخص: يهدف هذا البحث إلى إبراز المشاركة الفعالة للشيخ بن باديس في التفكير والإعداد من خلال عمله القيادي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولقد اعتمدت على المنهج الوصفي لاستعراض جهود العلامة الاصلاحية في شقين أساسيين عظيمين هما: الاصلاح الخلقي، والتربوي. ومن أهم النتائج المتوصل إليها: أنّ أهداف الجمعية كانت واضحة وتصبّ في تكوين الإنسان الجزائري، وبناء شخصيته على أسس متينة ترتكز دعائمها على أصول العقيدة ومبادئها، ومقوماتها ،. أمّا فيما يخص التوصيات، فوجب التركيز على الجانب الأخلاقي في النّصوص التعليمية لأبنائنا بالرجوع إلى الموروث الثقافي، والأخلاقي، والتربوي لجمعية العلماء إيمانا منا بأنّه لا فلاح للمسلمين إلاّ بالرّجوع إلى هدى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

الكلمات المفتاحية: *الإصلاح؛ الأخلاق؛ الفكر؛ جمعية - ابن باديس.*

Abstract:

This research aims to highlight the effective participation of Sheikh Ben Badis in thinking and preparation through his leadership work for the Association of Algerian Muslim Scholars, and I have relied on the descriptive approach to review the reform efforts of the scholar in two great basic parts: moral and educational reform. Among the most important results reached: that the goals of the association were clear and poured into the formation of the Algerian human being, and building his personality on solid foundations whose foundations are based on the origins, principles, and components of the faith. As for the recommendations, it is necessary to focus on the moral aspect of the educational texts for our children by referring to the cultural, moral and educational heritage of the Association of Scholars, in our belief that there is no success for Muslims

* **المؤلف المرسل**

except by referring to the guidance of the Noble Qur'an and the honorable Sunnah of the Prophe.

Keywords: *reform; ethics; thought; association - Ibn Badis.*

مقدمة:

بات من الضروري إبراز العوامل التي أسهمت في تكوين شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس من النواحي النّفسية والفكرية والأخلاقية والوطنية، بمناسبة يوم العلم، ومن أبرز هذه العوامل، وهو تأثر ابن باديس بالحركة الإصلاحية لجمال الدين الأغاني، ومحمد عبده وعبد العزيز الثعالبي حيث كان لها زاد في خصوبة هذه الشخصية الحافلة والتي صنعها بفكره وقلبه، وسخرها لنفع وطنه، وأمته، وأعماله وفيرة، ومنوعة لا تتسع لها هذه الصفحات لاستقصائها، فلم يكلّ يومًا عن الفكر والعمل منذ أن كان صبيّا.

ويعد عبد الحميد بن باديس مفسرًا قديراً للقرآن الكريم كان تفكيره منصبّا على أن يجعل من التفسير مبدأ انطلاقه لنهوض الأمة الجزائرية، وأساس هديه في الدراسات العلمية، والإصلاحية، والتّربوية ولعل هذا لبُّ منهجيتنا في هذا البحث، أمّا الاشكالية التي أريد طرحها فهي كالآتي: ماهي أهم نقاط أو حلقات الإصلاح الخلقي والتربوي عند العلامة ابن باديس؟ وما الهدف منها؟.

1. جهود العلامة ابن باديس التربوية والإصلاحية:

كان للإمام عبد الحميد بن باديس دورا بارزا في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1913، وكانت فكرة إنشاء هذه الجمعية قد اختمرت في ذهنه قبل ذلك بسنوات أثناء إقامته بالمدينة المنورة، ولقائه مع الشيخ البشير الإبراهيمي حينما قال: "وأُشهد الله أنّ تلك الليالي من سنة 1913 هي التي وُضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين". (الفاسي، 1948، ص12).

ولقد لقي هذا المشروع نجاحا كبيرا واستطاع لمّ شمل معظم دعاة الإصلاح ، وكان أول المستجيبين الشيخ الإبراهيمي، الطيب العقبي ،مبارك الميلي ،العربي تبسي والمولود الحافظي وغيرهم.

وبرزت الجمعية إلى الوجود، وانتخب عبد الحميد بن باديس رئيسا لها والشيخ الإبراهيمي نائبا له، ومما زاد في نجاح هذا المسعى هو جملة التطورات التي عرفتها الجزائر منذ بداية القرن العشرين في الميدان لثقافي، والدّيني وفي الاستعدادات النفسية التي كان لابن باديس إسهام وافر في إبرازها وبلورتها خلال فترة تعليمه التي بدأت سنة 1913 ولاتصالاته البناءة بشخصيات عربية خالدة، ونذكر في هذا الصدد مساهمة الشيخ محمد عبده غير المباشرة أثناء زيارته للجزائر في تحميل المسؤولية للعلماء نتيجة الركود والضعف الذي عرفه الجانب الإصلاحي في الجزائر في تلك الفترة. (أمين، 1965، ص26).

ولقد تباينت آراء من كتبوا عن الأهداف، والغايات والتي أنشئت من أجلها جمعية العلماء فالشيخ محمد خير الدّين، وهو أحد أعضائها: "يرى أن مهمة الجمعية هي أحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة، وإحياء اللّغة العربية، والتاريخ الإسلامي". (أمين، 1965، ص112).

أماعن هدف الجمعية السياسي هو إفشال مخططات الاستعمار كرفضهم لقانون التجنيس ومحاولات الإدماج حين أصدر رئيس الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس فتوى جريئة تنص على أنّ التجنّيس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية. ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عدّ مرتداً. (ابن باديس، 1936م، ص3).

فبفضل مجهودات العلامة وأعضاء الجمعية عرفت الجزائر نشاطًا وحيوية بالغين في الميدانين الثقافي والسياسي في النصف الأوّل من القرن العشرين، وهي الفترة يعتبرها

كثيرا من الباحثين من أكثر فترات التاريخ الجزائري خصبا بسبب ما لحقت به من مواقف ومعارك فكرية كانت لها أبعادها الخطيرة، والمؤثرة في حياة الجزائر بمختلف وُجوهها.

ومن هذا المنطلق حلّل المفكر مالك بن نبي وعي ابن باديس وذاتيته فيقول: "فالوعي الذي بدأ مرة أخرى يتكلم بلسان ابن باديس في افريقيا كان غنيا بتجربة حاسمة قطعا، ولكنه كان غنيا أيضا بذاتيته الجديدة فالحقيقة النّفسية تكمل هنا، والحقيقة التاريخية التي ربما تبقى دون ذلك جزئيا في الظلام أو تظل غير مفهومة، وعلى ذلك فالنفسية المسلمة الجديدة لا يمكن أن تتضح في ذاتها إلاّ إذا اعتبرنا الثروات الذاتية التي استمدها وعيه من غير الحضارة الغربية". (مالك بن نبي، دت، ص302).

1.1 الإصلاح الخلقي:

لقد أكد ابن باديس بأنّ التربية التي تضمنها القرآن كفيلة وحدها بعلاج المجتمع من الأدواء والأمراض التي بدأت تنخر كيانه، وتعمل على اضمحلاله وهدّ قواه وهو يقسّم تلك العلل والأمراض إلى قسمين رئيسين هما:

الأول: فساد العقائد وما ينجم عنه من فساد الإدراك والتقليد الأعمى للأدباء

والثاني: فساد الأخلاق الذي يتبعه انحطاط في السلوك والصفات.

والجانبان يرتبطان إرتباطا كبيرا، يقول ابن القيم: "الدين الخلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين". (القرضاوي، 1973، ص210).

لذا عمل ابن باديس على تعليم الناشئة تعاليم الإسلام حتى لا يلتمس الحق بالباطل حيث يقول في كلمة ألقاها خلال تفسيره للقرآن الكريم، وختمه درسا وتفسيرا على الطريقة السلفية: "فإنّنا نربي والحمد لله تلامذتنا على القرآن، ونوجه نفوسهم من أوّل يوم، وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أنْ يكوّن القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرجال تُعلق الأمة آمالها وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها". (تركي، 1969، ص228).

والظاهر أنّ هذه الكلمة حددت الأهداف السّامية والغايات النبيلة التي ظل العلامة عبد الحميد بن باديس مكافحا من أجلها دون يأس، أو ملل أو أن يكبح جماحه الظلم والطغيان، فالأخلاق الفاضلة هي أفضل ما يتحلى به المرء بعد الإيمان بالله وطاعته وخشيته، بل هي ثمرة من ثمرات الإيمان والعبادة، وإيمان الإنسان لا يكتمل إلاّ إذا نتج عنهما خلق وطبع كريم ومعاملة طيبة مع الله والخلق.

فالمسألة لا تقف عند الفرد بل تتجاوزه حتماً إلى المجتمع، والإنسانية جمعاء فلا تتحقق إنسانية الفرد إلاّ بالأخلاق فكذلك المجتمع لا يصلح حاله ولا يستقيم أمره إلا بوجود الأخلاق الكريمة التي يتمتع بها الفرد في مجتمعه.

وهذا الأمر لم يغفل عنه الشيخ والعلامة ابن باديس، لمكانته الرفيعة وتعلُّقه بالأخلاق في المجتمع فيصرح قائلاً: "إنّ الذي نوجه له الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الاخلاق، فالباطن أساس الظاهر، وفي الجسد مضغة إنْ صلحت صلُح الجسد كلّه". (ابن باديس، 1964، 1971، ص239).

فالفرد اللّبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع ويقوم عليها بل اعتنى به الإسلام عناية كبيرة حيث دعا إلى إصلاح نفس الفرد لأنّ صلاحها هو صلاح الفرد، وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، يقول ابن باديس في هذا المقام: "وما من شيء شرّعه الله تعالى لعباده من الحق والخير والعدل والإحسان إلاّ وهو راجع إليها بالصّلاح فتكميل النفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إرسال الرسل، وشرع الشرائع". (ابن باديس، 1964، 1971، ص107).

كما استطاع الشيخ عبد الحميد بن باديس الغوص في الحياة الإنسانية، خاصة عند الحديث عن القوى الثلاث التي تبنى عليها حياة الإنسان من البداية إلى النهاية ؛ وهي الإرادة، والفكر، والعمل وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لابد للإنسان منها فالعمل متوقف على البدن والفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق، فالتفكير

الصحيح من العقل الصحيح والإرادة القوية من الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم، لذا كان على الإنسان لزاما المحافظة على هذه الأمور الثلاثة: عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار عنها فيثقف عقله بالعلم، ويقوّم أخلاقه بالسّلوك النبوي ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى والترويض على العمل. (ابن باديس، 1964، 1971، ص314).

وهنا يظهر تأثر ابن باديس بالإمام الغزالي وابن مسكويه، والذي يقسم النفس الإنسانية إلى ثلاثة أقسام، القوة التي يكون بها التفكير والتمييز، والقوة التي يكون بها الغضب والنجدة والشجاعة، والقوة الشهوية التي بها الشّهوة وطلب الغذاء والشّوق إلى مختلف الملاذ الحسية. (مسكويه، 1966م، ص15).

أما الغزالي يذهب في تعريفه للخلق الحسن حين قال: "صلاح القوى الثلاث، قوة الفكر وقوة الشهوة، وقوة الغضب". (الغزالي، 1964م، ص234).

فإشارتنا إلى ما ذهب إليه العالمين الجليلين الغزالي وأبو علي أحمد بن محمد مسكويه الهدف منها معرفة الإضافة التي منحها ابن باديس في الميدان الخلقي، بغية إصلاح المجتمع إذْ يضيف إلى هذه القوى الثلاث عنصرا آخر لا يقل عنها أهمية في توجيه الإنسان وهدايته للواجب، وإعطائه القدرة على التمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر، ويتمثل فيما أودعه الله تعالى وغرسه في داخل كلّ منا من بصيرة أخلاقية غريزية يطلق عليها علماء الأخلاق اسم الضمير الخلقي ويعرفونه:" بأنّه الوازع الداخلي أو السلطة الداخلية التي تراقب من الداخل أعمال الانسان الخارجية فتحكم لها أو عليها، وهو مركز التوجيه في الانسان يعظه، ويوجهه ويقود نياته ومقاصده وأفعاله، ويضيئ علاقاته بالآخرين وعلاقاته بربه". (التومي، 1975م، ص257).

فقد لا تؤثر التنظيمات، والأوضاع كلها في صلاح النفوس، ولا تكفي ما تقرره من عقوبات رادعة إنما لابد أنْ يكون هناك وازع في المجتمع يمنع الناس من ارتكاب الجرائم، وليس هذا الوازع سوى الخلق الذي يرسيه الايمان برقابة الله ليكون ضميراً حيّا

يقظا يحاسب صاحبه قبل أن يقوم بالعمل ويحاسبه بعد أن يقوم به". (عمير، 1976م، ص21).

ومن هنا يتضح لنا قيمة الإصلاح الخلقي الذي دعا إليه ابن باديس، المنبثق من القرآن الكريم والهدي النّبوي الشّريف إذْ يقول:" إنّ صحة العقيدة، واستنارة الفكر، وطهارة النّفس، وكمال الخلق، واستقامة العمل وهذا هو الاصلاح كلّه مما يشرك في الانتفاع به جميع المسلمين، بل جميع بني الانسان إنمّا نذكر المسلم الجزائري لأنه هو الذي قرر أن يكون منا، ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه، فحقه أوجب". (ابن باديس، 1936، ص1-4).

وهكذا كان الشيخ ينتهز كل فرصة تتيح له تقديم آرائه، ونصائحه المدعومة بالعمل والتوجيه لإصلاح بعض الجوانب الخلقية السيّئة السائدة في المجتمع، والتحذير من كل ما يعوق الإصلاح الذي عقد أعضاء الجمعية العزم عليه لإخراج المجتمع من ظلامه الدامس إلى النّور السّاطع المشع بالإيمان المبدد والقاهر والماحق لأفكار الشّر الاستعمارية، وخططه ومحاولاته البائسة لإضعاف الجزائريين، وتجريدهم من أهم مقوماتهم وأخص خصائصهم، وهي أخلاقهم الإسلامية.

2.1 الإصلاح التربوي:

إنّ الحديث عن العلم في الجزائر مقترن بديهيا باسم العلامة الشيخ ابن باديس رحمه الله، وأسكنه فسيح جنانه، حيث يحتفل كلّ عام في السّادس عشر من أبريل بذكرى وفاته ومن المؤكد أنّ هذا الارتباط لم يأت من الصّدفة إنّما جاء نتيجة اختيار ذكي، وقرار مدروس ذلك إنّ العلاقة بين ابن باديس والعلم علاقة وثيقة وأكيدة، فالرجل يطلق عليه معلم الأمّة قاد من خلال تطوعه في سلك التعليم فترة تزيد على ربع قرن ثورة نقدية شاملة، استهدفت منها الإطاحة بأوضاع بالية حاولت أنْ تفرض وجودها.

كان يهدف رحمه الله إلى خلق ثقافة وطنية متفتحة ذات أبعاد إسلامية وقومية حيث يقول عن الفنون: "هي من تراث الانسانية كلها فلا تستقل فيها أمة عن أمة، وأكمل الأمم ازاءها من تحسن كيف تحافظ على حسنها، وتستفيد من حسن غيرها". (طالبي، 1968، ص129).

إنّه لعمل شاق وثري ذلك الذي قام به العلامة عبد الحميد بن باديس في المجال التربوي لا تكفيه الصحف والكتب لكن يحتاج إلى دراسة لأنه عمل مهم يسهم في إنهاض الأمة ثقافيا، وعلميا وهو دور له نظائره في الهند، وملیزیا، وغيرها من البلدان الإسلامية.

وعلى هذا الأساس من التفكير فإنّ ابن باديس كان يسعى دائماً إلى تطبيق منهج الدين وأساليب هدايته حتى يصلح النفوس من هذا الطريق، لأنّ صلاح النفوس من باطنها وتطهيرها من أدران الجهل، والعقائد الفاسدة هو الأساس الركين الذي تقوى عليه نهضة المجتمع، ويقول في هذا الباب: "إنّ الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق فالباطن أساس الظاهر". (ابن باديس، 1964، 1971، ص239).

ولعل الأصل في تربية الفرد عند العلامة ابن باديس تتجه كما ذكرنا سالفا إلى بناء نفسه من الداخل، فهو يرى أن البناء الداخلي للفرد، أي تكوين ضميره الحي اليقظ وخلقه الطيّب الطاهر، ونفسه المؤمنة الخاشعة هو أساس العمل الناجح.

ولكن العلامة يشير إلى أمر مهم وهو كيف يتم الاصلاح وما هي وسائله؟

فالمسؤولية ملقاة على عاتق العلماء، والمفكرين فيجب عليهم العمل جميعا على إزالة الشبهات وطرح التعاليم الاسلامية بطريقة جديدةــ، ومؤثرة تجعل للإسلام الكلمة الأولى والأخيرة .

يقول ابن باديس رحمه الله: "إن مسؤولية العلماء عند الله فيما أصاب المسلمين في دينهم لعظيمة، وإنّ حسابهم على ذلك لشديد طويل، ذلك بما كثموا من دين الله وبما خافوا في نصرة الحق سواه". (طالبي، 1968، ج3 ص115).

فصلاح المسلمين أو فسادهم في رأي ابن باديس مرهون بصلاح أو فساد علمائهم لأنّ العلماء كما يقول هم من الأمة بمثابة القلب وصلاح التعليم عنده لا يمكنه أن يؤتى ثماره المرجوة إلاّ إذا رجعنا به للتعليم النّبوي في شكله ومضمونه، في مادته، وصورته فقد صح عن النّبي صلى الله عليه وسلم قوله: "فيما رواه البخاري: "إنّما بعث معلماً". (ابن ماجة برقم 229. رواه في حديث عبد الله بن عمرو، وفي سنده ضعيف).

فالهدي النّبوي هو السّبيل الوحيد لإحياء الأمّة، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم النّاس دينهم من الإيمان، والإسلام، والإحسان، وكان يعلمهم الدين بتلاوة القرآن. (طالبي، 1968، ج3 ص120).

والرسول صلى الله عليه وسلم من خلال سيرته الطاهرة، وتعليمه لأصحابه هو أعظم المربين على الإطلاق، فأحادثه تشكل معينا رائعا نستطيع أن نغترف منه الكثير من عالم التربية والتعليم. (علي، 1976م، ص67).

ونجد العلامة ابن باديس يدعم هذا الرأي حيث يقول في شرحه للحديث النبوي الشريف: "إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم". (ابن باديس، دت، ص39).

هذا الحديث أصل عظيم في التربية المبنية على علم النّفس البشرية، فإنّ النّفوس عندما تشعر بحرمتها وقدرتها على الكمال، تنبعث بقوة ورغبة لنيل المطلوب، وعندما تشعر بحقارتها وعجزها تقعد عن العمل، فجاء هذا الحديث الشّريف يحذر من تحقير النّاس وتقنيطهم، وذلك بمقتضى المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم، وهذا الأصل العظيم الذي دلّ عليه الحديث الشّريف يحتاج اليه كل مرب سواء أكان مربياً للصغار أو الكبار،

للأفراد أم الأمم، فاللّهم صلي على هذا النبي الكريم العظيم". (طالبي، 1968، ج3 ص 169).

ويشير ابن باديس إلى قضية مهمة في مجال الاصلاح التربوي حين يقول:" العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال". (طالبي، 1968، ج3 ص184).

فالتعليم عنده لا ينبغي أن يفصل في مرحلة من مراحله بين شقيه النظري والتطبيقي، ولا ينبغي أن يتخرج المتعلمون من المدارس والمعاهد إلاّ إذا أتقنوا حرفة من الحرف اليدوية حتى لا يكونوا عالة على المجتمع، وهذا هو نفسه موقف ابن خلدون قديماً، وجمال الدين الأفغاني في العصر الحديث. (عمارة، 1968م، ص280).

هكذا يسير العلامة ابن باديس على منهج الاسلام وأسلوب الرسول صلّى الله عليه وسلم إذْ أولى الإنسان عنايته الكبرى وربّاه واعياً عناصره من روح فكر، وجسد موازنا بين هذه العناصر مبتكرا الوسائل التربوية تحقيقا لغرض يتناسب مع متطلبات العصر، وهو سرّ نجاحه في دعوته والتفاف النّاس حوله يعضدونه، ويشدّون من أزره.

2. أهداف الإصلاح الخلقي والتربوي:

إنّ الأهداف التربوية تشتق من فلسفة المجتمع ونظرته إلى الحياة فهي تعبير عن مثلها العليا، و اتجاهاتها، فالإمام بن باديس، كما هو معروف مصلح ومرب إسلامي يستمد

مقومات فلسفته في الإصلاح الخلقي والتربوي من روح الحضارة الإسلامية، ثم من واقع المجتمع الجزائري.

وعلى ذلك يمكن القول أنّ أهدافه، وغاياته التربوية تتطابق في عمومها مع أهداف التربية الإسلامية التي تسعى إلى تغيير الوضع السلبي الذي خلقه الاستعمار والسّعي إلى إيجاد مجتمع جديد من جميع النواحي خصوصا الاجتماعية والثقافية.

2. 1 الأهداف الاجتماعية:

كان هدف ابن باديس هو تغيير بنية المجتمع، وتطويرها، ونقل الواقع المعيش من الركود إلى شق طريق الحياة، فكان له أنْ يبدأ بالعنصر الأساسي وهو الانسان ونعني به الرجل والمرأة على السواء، وواجبهما نحو التربية والإعداد للحياة فهو يقول: "على المربين لأبنائنا وبناتنا أن يعلمومهم ويعلمونهن هذه الحقائق الشّرعية ليتزودوا بها يطبعونهم ويطبعونهن عليه من التربية الإسلامية العالية لميادين الحياة". (ابن باديس، 1966، ص131).

أمّا بالنسبة لمهمة المرأة فتستند إلى الظروف الثقافية، والبيئية وهو إنجاب الأبناء الذين "يحفظون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية، ولا ينكرون أصلهم، وإنْ أنكرهم العالم بأسره ولا يتنكرون لأمتهم، ولو تنكر لهم النّاس أجمعون". (ابن باديس، 1966، ص165).

فحسب رأيه لا يمكن تعليم الفتاة تعليما أجنبيا حتى لا تتنكر لأصلها وأمتها وقوميتها والظاهر أنّ ابن باديس لا يريد حجر الفتاة، وحرمانها من حقها في التعليم، ولكنه يحبذ تعليمها شريطة أنْ يكون ذلك في نطاق المثل والأخلاق والقيم الإسلامية الفاضلة شأنها في ذلك شأن الرجل.

وكان الهدف من وراء ذلك كله تكوين جيل قومي متوفر على الأداة العلمية، الثقافية والفكرية عن طريق عقيدة صحيحة تعز دينه، وتحمي لغته، وتنهض بوطنه.

2.2 الأهداف الثقافية والتاريخية:

لقد سعى ابن باديس جاهداً إلى تحقيق الأهداف الثقافية، والتاريخية لهذا الوطن من خلال المحافظة على الشخصية الوطنية بمقوماتها ضد محاولات التشويه حيث يقول في هذا الجانب: "إنّ كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم، أو دينهم أو تاريخهم

أو أيّ شيئ من مقوماتهم هي محاولة فاشلة مقضى عليها بالخيبة". (طالبي، 1968، ج3 ص233).

وأبرز هذه المقومات الشخصية بعد الإسلام هي اللّغة العربية، والتي يعتبرها الوحدة الرابطة بين الماضي والحاضر، "وهي المقياس الذي نقيس به أرواحنا بأرواح أسلافنا، فهي اللّسان الذي نعتز به، وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار وما في النّفس من آلام وآمال". (طالبي، 1968، ج3 ص233) .

ومن أجل هذا، عمل ابن باديس طوال حياته لإحيائها وتعليمها ونشرها بين الشباب بعد أنْ أوشك الاستعمار أن يقضي عليها .

ولقد رابط ابن باديس في المساجد ليلا ونهارا، معلما، وهاديا، و مرشدا ، حتى حقق أهدافه بعد أنْ التف الشّعب من حوله محررين ومسترجعين ما سلب منهم ثقافيا ، فالمُثقف الذي كونه الاستعمار كان يعاني من ازدواج في الشخصية لفقدانه الأرضية التي تحفظ توازنه. وهكذا استطاع ابن باديس الوقوف في وجه العدو الذي حارب اللّغة العربية ، وهي التي تصون تماسك الشّعب، وتبقي على و حدته، فأعاد بريقها بعدما عمد الاستعمار إلى تشجيع العامية في الكتابة والمدارس وإحياء اللّغة البربرية من جهة، كما أعاد فتح الكتاتيب والمدارس الابتدائية والثانوية، وبعث المراكز الثقافية التي كانت منتشرة في عدة مدن جزائرية .

كما ألح ابن باديس على هدفه التاريخي والقومي في الكثير من المناسبات ،عن طريق بيان قيمة العرب التايرخية ، وتحليليه لمضمون القومية العربية بالعودة إلى المنابع، واستلهام التراث العربي والمبادئ والتعاليم الإسلامية .

وبهذا المفهوم تتحدد رؤيته وأهدافه المستقبلية للوحدة العربية في ظل تاريخ، وثقافة مشتركة. فهو يصف الجزائر بالوطن الخاص، والأوطان الأخرى يصفها بقوله: "نعم إنّ لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطانا أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال، ونحن فيما

نعمل لوطننا الخاص، نعتقد أننا لابد أن نكون قد خدمناها، وأوصلنا إليها النفع والخير عن طريق خدمتنا لوطننا الخاص" (طالبي، 1968، ص 236).

وهو يعتقد أنّ هذه الأوطان جميعا ترتبط معا بروابط وثيقة، ثقافية و تاريخيـــة، فالهـــدف واحد والألم والأمل مشترك.

وما يمكن قوله بشكل عام أنّ ابن باديس كان يهدف إلى بناء مجتمـــع إســـلامي فاضـــل متماسك يقوم على أساس مبادئ الدين، والأخلاق، ويتحقق في ظله العدل وتكافئ الفـــرص والتقارب، والتماسك بين فئات المجتمع،مع المحافظة على الشخصية الإســـلامية العربيـــة بكل مقوماتها وبذل الجهد من أجل إثرائه،ا وحفظ اللّغة العربية الفصـــحى مـــن الانـــدثار والضياع.

3. الخاتمة:

وبعد هذه الجولة اليسيرة في ثنايا موضوع الإصلاح الخلقي والتربوي عند العلامة عبد الحميد بن باديس، لا يسعني إلاّ أنْ أشير في هذا الصدد إلى تميـــز جهـــود العلامـــة بالاستعداد النّفسي نتيجة احتكاكه بشخصيات عربية خالدة، كما أنّ الوضـــع الاســـتعماري كان له دافع في بروز هذه الشخصية العظيمـــة، وعملهـــا المقـــدس والجـــريء الكاســـر للاستعمار والمفشل لمخططاته اللّعينة.

ولقد ركز الرجل في عمله على جانبين أساسيين هما الاصلاح؛ الخلقي والتربـــوي، فالأول بدونه لا تستقيم الانسانية أمّا الثاني فله علاقة، بالثقافة الوطنية ذات أبعاد إسلامية، وقومية وفق المنهج الديني القويم ،لإصلاح النفوس، ولا يكون ذلك إلاّ بصـــلاح العلمـــاء تحقيقا لعمل مميز ومتقن، يجمع بين الارادة القوية، والخلق المتين، وبين العمـــل المفيـــد، والبدن السّليم، وبين التفكير، والعقل الصحيحين.

ولقد توصَّلتُ بعون الله تعالى في هذا البحث إلى النتائج الآتية:

- إنَّ أعضاء الجمعية وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس ساروا وفق برامج ومناهج ذات قواعد سليمة، ومتينة، فكلّما كانت المرجعية الأخلاقية، والتربوية قويّة إلاّ وكانت النتائج كذلك.

- أهداف الجمعية كانت واضحة وتصبّ في تكوين الإنسان الجزائري، وبناء شخصيته على أسس متينة ترتكز دعائمها على أصول العقيدة ومبادئها.

- الإصلاح المقصود به: إعداد المواطن للحياة الدّنيا والآخرة إعدادا متكاملا يشمل كافة جوانب شخصيته الروحية والفكرية وغيرها حتّى يصبح بإمكانه صنع النهضة التي هي الأساس في قيام الحضارة.

- بناء مجتمع إسلاميّ فاضل متماسك يقوم على أساس تكافئ الفرص والتعاون بين فئات المجتمع مع المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية بكلّ مقوماتها.

- وجوب بدل الجهد من أجل تدعيم اللغة العربية الفصحى وحفظها من عوامل الضعف، والاندثار، والعمل المستمر على تقويتها تجديدها ونشرها.

أمّا عن التوصيات، فوجب التركيز على الجانب الأخلاقي في النّصوص التعليمية لأبنائنا بالرجوع إلى الموروث الثقافي والأخلاقي والتربوي لجمعية العلماء، إيمانا منا بأنّه لا فلاح للمسلمين إلا بالرّجوع إلى هدى القرآن الكريم.

4. قائمة المراجع:

ابن باديس، عبد الحميد. (1964، 1971)، ***تفسير ابن باديس في مجالس التذكير*** (ط1، ط2). دار الفكر، بيروت.

ابن باديس، عبد الحميد. **(دت)**، ***العقائد الاسلامية من الآيات القرآنية والسّنة النّبوية***، رواية وتعليق محمد الصالح رمضان، مطابع الكيلاني.

ابن باديس، عبد الحميد. (1936)، عدد أبريل، ص1-4، ***الشهاب*** ج1.

ابن باديس، عبد الحميد. (1936م، فبراير، 11). ***جريدة البصائر*** عدد 95.

ابن باديس، عبد الحميد. (1966)، من هدي النبوة ،مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر.

التومي، عمر محمد. (1975م)، ***فلسفة التربية الإسلامية***، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس.

رابح، تركي (1969). ***الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم*** (ط1)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

سعيد اسماعيل علي. (1976م)، ***أصول التربية الإسلامية***، دار الثقافة، القاهرة.

طالبي، عمار. (1968). ***ابن باديس حياته وآثاره***، أربعة مجلدات، دار اليقظة العربية، دمشق ج3.

عثمان أمين. (1965م). ***رائد الفكر المصري، الامام محمد عبده*** (ط2)**.** مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة.

عمارة، محمد. (1968م). ***الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني***، إعداد، دار الكاتب العربي القاهرة.

عمير، عبد الرحمن. (1976م، ديسمبر)، ***مجلة منار الإسلام*** العدد 12.

الغزالي، أبو حامد. (1964م)، ***ميزان العمل***، تحقيق، د سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة.

الفاسي، علال. (1948). ***الحركات الاستقلالية في المغرب العربي***. مطبعة الرسالة.

القرضاوي، يوسف. **(**1973)، ***الإيمان والحياة*** (ط2). مكتبة وهبة، القاهرة.

ابن ماجة برقم (229). رواه في حديث عبد الله بن عمرو، وفي سنده ضعف.

مسكويه، أبو علي أبو أحمد بن محمد. (1966م). ***تهذيب الأخلاق***. تحقيق د قسطنطين زريق الجامعة الأمريكية، بيروت.

ابن نبي، مالك. (دت). ***الفكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر "باندونج"*** (ط2). ترجمة عبد الصبور شاهين.